الحلقة (٢٣)

➢ هل في القرآن ألفاظ غير عربية؟ أو لا؟

هذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، وقد ذكرها ابن قدامة رحمه الله، هي مسألة ليست بتلك المسألة المهمة، لكن لما ذكرها ابن قدامة رحمه الله كان لزاماً أن نذكرها ونبين ما فيها، وقبل أن أبدأ في نقل الخلاف في المسألة أحرر محل النزاع؛ لأن أهم المهمات -حقيقة- في المسائل الخلافية، سواء كانت أصولية أو فقهية أو حتى غير ذلك من المسائل، أهم ما يتنبه له طالب العلم أن يحرر محل النزاع في المسألة؛ لكي يكون عنده مواطن متفق عليها تشكل لبنة للبناء، ثم بعد ذلك يبين الخلاف في المسألة ويبين الأدلة على كل قول، ثم يرجح ما ظهر له رجحانه بعد النظر في الأدلة،

فعلى ذلك نحرر محل النزاع في هذه المسألة:

فأولاً: أقول اتفق أهل العلم على أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب؛ فالقرآن ليس فيه أسلوب غير أسلوب العرب، هذا بالاتفاق.

ثانياً: اتفق العلماء على وجود ألفاظ الأعلام الأعجمية في القرآن، كهود ونوح وعمران ولوط وغيرها، إذاً هذا بالاتفاق على أنه يوجد ألفاظ أعجمية في القرآن، وهي الأعلام الأعجمية غير العربية، مثل الذي مثلنا له، وذلك لأن العَلَمَ يُحكى بلفظه في جميع اللغات، أنت تتكلم لغة عربية وتأتي بأسماء لأعاجم ما تترجِم حتى لو كان له معنى اذكره كما هو! وهذا لا يؤثر ولا يقدح في كون كلامك غير عربي، يعني لما أنا أنقل كلاماً أو أنقل أسماء لأعلام أعجمية؛ فهذا لا يقدح في كون لساني أو كون لغتي ليست عربية، أبداً، كذلك الذي يتكلم مثلاً باللغة الإنجليزية وينقل أسماء عربية مثلاً، فلا نقول أنه يتكلم بغير لغته، لا، لأن العلم يُحكى بلفظه في جميع اللغات.

ثالثاً: محل النزاع في مسألة هل في القرآن ألفاظ غير عربية؟ إنما هو في الألفاظ الأعجمية غير ألفاظ الأعلام، هل هي موجودة في القرآن أو، لا؟ اختلف أهل العلم في هذه المسألة في هذا الموطن بالذات على أقوال أشهرها ثلاث:

القول الأول: أنه ليس في القرآن ألفاظ بغير العربية مطلقاً، **وهذا قول الجمهور**، وقال به القاضي أبو يعلى الحنبلي المعروف، ومجد الدين أبو البركات ابن تيمية جد شيخ الإسلام في المسوَّدة، وأبو الخطاب الكلوذاني الحنبلي المعروف صاحب التمهيد، وقال به أيضاً الباقلاني المعروف صاحب التقريب والإرشاد وغيرها من الكتب، وكذلك قال به أبو الوليد الباجي المالكي، وغيرهم كثير، هم الجمهور على كل الأحوال قالوا بأنه ليس في القرآن ألفاظ بغير العربية.

القول الثاني في المسألة: أن في القرآن ألفاظاً بغير العربية، وذهب إلى هذا القول بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونُسب إلى ابن عباس منهم رضي الله عنه وأرضاه، وقال به بعض التابعين

كعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء رحمهم الله جميعاً، واختاره من الأصوليين ابن الحاجب المالكي، وابن عبد الشكور الحنفي وغيرهم.

القول الثالث في المسألة: أن ما في القرآن من ألفاظ أعجمية: إنما هو باعتبار أصلها؛ فأصلها أعجمي، ثم عرَّبتها العرب واستعملتها في لغتها؛ فأصبحت من لسانها لتعريبها واستعمالها لها، ثم نزل القرآن على ذلك.

إذاً هذا القول الثالث قول متوسط، القول الأول ليس في القرآن ألفاظ غير عربية مطلقاً في محل النزاع غير الأعلام، القول الثاني: في القرآن ألفاظ أعجمية غير الأعلام، هذا القول يقول نعم في القرآن ألفاظ أعجمية، لكنها هذه الألفاظ الأعجمية أصلاً كانت عند نزول القرآن يستعملها العرب، وإنما كان أصلها أعجمياً واستعملها العرب ودرجوا عليها، وقد نزل القرآن بلغتهم فنزل بها لأنها هي اللغة الدارجة ذلك الوقت، إذاً عربتها العرب واستعملتها في لغتها فأصبحت من لسانها بتعريبها واستعمالها لها، ثم نزل القرآن على ذلك، هذا القول هو قول المفسر ابن عطية المعروف صاحب التفسير، وغيره من العلماء، وذهب إليه ابن قدامة فيما يظهر من كلامه، لأن كلامه لم يصرح بهذا، لكن الذي يظهر من خلال كلامه وما ساق من أدلة وما ساق من كلام ومناقشات أنه يذهب إلى هذا القول، وهذا القول يجمع بين القولين السابقين، **وهو الذي يترجح لي والله أعلم**.

أدلـــة الأقـــوال:

أصحاب القول الأول استدلوا بجمع من الأدلة أذكر منها ثلاثة:

الدليل الأول: هؤلاء الذين يقولون ليس في القرآن لفظة بغير العربية سوى الأعلام، استدلوا على ذلك بأدلة، الدليل الأول لهم قوله سبحانه وتعالى:{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ}

وجه الدلالة من ذلك: أنه في هذه الآية بيَّن أن القرآن ليس بأعجمي؛ لأن لفظة (لَوْ) حرف امتناع لوجود؛ فالآية صريحة في نفي أعجمية شيء من القرآن.

مناقشة هذا الدليل:

١- نقول أن القرآن بلا شك عربي، ووجود قلة نادرة من الألفاظ الأعجمية لا يمنع من وصفه بالعربية.

٢- أن المنفي إنما هو وجود التراكيب والأساليب الأعجمية في القرآن، وهذا ما اتفقنا على عدم وجوده، أما وجود الألفاظ الأعجمية القليلة فلا ينكر.

٣- أن نفي وجود الألفاظ الأعجمية في القرآن محمول على الألفاظ التي تستعملها العرب ولم تعَرِّبها ولم تصبح من لسانها، وأما ما عربته العرب واستعملته ثم نزل القرآن به بعد الاستعمال فهو مما لا ينكر، هذه الوجوه الثلاثة تصلح وكل منها صالح لمناقشة هذا الدليل.

الدليل الثاني: الذين يقولون إنه لا يوجد في القرآن ألفاظ غير عربية سوى الأعلام، قوله جل وعلا: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} وقوله: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}ونحوها من الآيات التي تنص صراحة على عربية القرآن، وجه الدلالة من هذه الآيات نقول: أن هذه الآيات تدل على أن القرآن عربي محض، وهذا ينفي أن يكون فيه ما هو أعجمي.

ويمكن أن يناقش هذا الدليل من الوجوه الثلاثة السابقة تماماً؛ فنجريها على ما جرينا عليه في مناقشة الدليل السابق.

الدليل الثالث: قالوا إن الله تحدى كفار العرب، تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، ولا يتحداهم بما ليس من لسانهم، ثم لو كان من القرآن ما ليس من لسان العرب لاتخذوه حجة على العجز عن الإتيان بمثله لعجمته، في قوله تعالى: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}، أن يأتوا بعشر سور من مثله كما في قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} هذا موجود، ولو كان القرآن فيه ما هو أعجمي، لقالوا والله نحن نعجز لأنه ليس من لساننا، هذه ألفاظ أعجمية موجودة فيه ما نعرفها؛ فنحن لنا عذر بعدم الإتيان بمثله، أو بعشر آيات منه، أو نحو ذلك مما ورد فيه التحدي.

هذا الدليل يمكن أن يناقش بأن نقول: أن نفي وجود الألفاظ الأعجمية في القرآن محمول على الألفاظ التي تستعملها العرب ولم تُعَرِّبها، وأما ما عربته العرب واستعملته ثم نزل القرآن به بعد الاستعمال فهو مما لا ينكر، يمكن أن يقال لهم الآن هذه الألفاظ أصلاً كانت مستعملة عند العرب، ونزل القرآن بها؛ فلا معنى للاعتراض بهذا الدليل.

أدلة القول الثاني: الذي يرى أن في القرآن ألفاظ أعجمية استدلوا بجمع من الأدلة أيضاً منها ما يلي:

الدليل الأول لهم: قالوا إن القرآن اشتمل على ألفاظ كثيرة غير عربية فمثلاً: نَاشِئَة (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) سورة المزمل ٨ نَاشِئَة قالوا أصلها حبشي، ولفظة: (إستبرق) و(سجيل) قالوا: أصلها فارسي، و(مشكاة) قالوا أصلها هندي، و(قسطاس) قالوا: أصلها رومي، وغير ذلك من هذه الألفاظ الواردة، قالوا هذه بين أيدينا الآن ألفاظ غير عربية موجودة في القرآن، ومعروف هي بلسان من؛ فلا معنى للإنكار بعد ورودها.

يمكن أن نناقش هذا الدليل فنقول: أن هذه الكلمات المذكورة قد عربتها العرب واستعملتها قبل نزول القرآن، ثم جاء القرآن بعد ذلك بما هو مشتهر ومعروف في لسان العرب؛ فهي عربية الاستعمال وإن كانت أعجمية الأصل، فنعم كما قلتم هي أصلها فارسي، أصلها هندي، أصلها رومي، أصلها كما ذكرتم، نعم، لكن العرب استعملوها ونزل القرآن بعد استعمال العرب لها وإلفهم لها وتداولها بينهم.

القول الثالث: دليله الجمع بين القولين السابقين وفيه حمل أدلة كل قول على محمل حسن؛ فنحمل أدلة المثبتين للألفاظ الأعجمية في القرآن على أصل اللفظة، الذين قالوا أن في القرآن ألفاظ أعجمية نقول: نعم أصلها أعجمي، هذه الألفاظ التي ذكرتموها أصلها أعجمي ونحن لا نخالف في ذلك، ونحمل أدلة النافين على واقع اللفظة عند نزول القرآن وأنها عربية الاستعمال وقد اختلطت بألفاظ العرب فأصبحت من لغتهم، وبهذا نكون قد حاولنا الجمع بين أدلة كلا القولين، وهو الذي ذكرت لكم أنه الراجح فيما أعلم وفيما يبدو، والله أعلم.

مسألة: المحكم والمتشابه في القرآن

قبل أن أدخل إلى الكلام عنها أبين ما معنى المحكم، وما معنى المتشابه من حيث اللغة، ثم أدخل إن شاء الله إلى تحرير محل النزاع الذي يتضح به المعنى الاصطلاحي لكل من المحكم والمتشابه، والخلاف هنا هو معنى الإحكام والتشابه في الاصطلاح في الاستعمال القرآني، ما معنى الإحكام والتشابه؟ قد ورد في القرآن لفظة الإحكام ولفظة التشابه فما معناها؟ أذكر قبل ذلك قبل أن أبين معناها الذي اختلف فيها أهل العلم، أذكر معناها في اللغة مما هو متفق عليه ووارد في اللغة ولا ينكر، ثم أعود إن شاء الله إلى الكلام عن معناها في الاصطلاح.

المحكم في اللغة: على وزن مُفْعَل، وهو يطلق في اللغة على عدة معاني فيطلق المحكم على المتقن، ويطلق الإحكام على الفصل، وعلى القضاء، وعلى المنع وغيرها من المعاني، إذاً من معاني الإحكام في اللغة الإتقان، الفصل، القضاء، المنع، وغيرها.

والمتشابه في اللغة: مأخوذ من الشَّبَه، بتشديد الشين وفتح الباء، والشِّبْه بتشديد الشين وكسرها مع سكون الباء.

وهو يطلق في اللغة على عده معان أيضاً، منها المشاركة في معنى من المعاني، شيء يشبه شيئاً يعني يشاركه في معنى من المعاني، وأيضاً يطلق على معنى الالتباس اشتبه هذا الشيء بهذا الشيء يعني التبس، إذاً يطلق على معنى المشاركة، ويطلق على معنى الالتباس.

تحرير محل النزاع في معنى المحكم والمتشابه الوارد في كتاب الله تعالى:

دلت بعض الآيات على أن القرآن كله محكم، وذلك مثل قوله تعالى: {الَر * كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} فقد وصفت الآيات بأنها أُحكمت.

وفي مقابل ذلك دلت آيات على أن القرآن كله متشابه، كقوله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا}إذاً وُصف القرآن بأنه متشابه.

كما دلت آية آل عمران التي هي موضع النزاع في المسألة، على أن القرآن منه ما هو محكم ومنه ما هو متشابه، وهي في قوله جل وعلا: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}، إذاً هذه الآية دلت على أن من القرآن ما هو محكم ومنه ما هو متشابه.

وفي الحقيقة لا تعارض بين هذه الآيات؛ لأن **معنى كون القرآن كله محكماً هو**: اتصاف جميعه بالإحكام الذي هو الإتقان؛ فإن جميع القرآن في غاية الإتقان في ألفاظه ومعانيه وأخباره، وهو في غاية البلاغة والفصاحة والإعجاز والسلامة من جميع العيوب، وهذا معنى كونه محكماً كله.

ومعنى كون القرآن كله متشابهاً: أن آياته يشبه بعضها بعضاً في الإعجاز والصدق والعدل والسلامة من جميع العيوب، إذاً معنى كونه متشابهاً أن آياته تشبه بعضها بعضاً في هذه الأمور، فتشبه بعضها بعضاً في إتقانها، في جزالة ألفاظها، وقوة معانيها وفي سلامتها من جميع العيوب، في صدقها وفي عدلها، في إعجازها، هذا معنى كون القرآن كله محكماً وكون القرآن كله متشابهاً.

أما **معنى أن من القرآن آياتٌ محكمات، ومنه آيات متشابهات** -وهذا المعنى هو الوارد في آية آل عمران- **فهو محل نزاع بين أهل العلم في تعريف المحكم والمتشابه في هذه الآية**، إذاً موطن النزاع بين العلماء هو معنى الإحكام والتشابه في آية آل عمران، ومعنى أن منه آياتٌ محكمات وأخر متشابهات اختلف فيها أهل العلم اختلافاً كثيراً، **وسبب الخلاف هنا** هو الخلاف في نوع الواو الواردة في قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}) **الواو هنا في (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)** هل هي عاطفة أو استئنافية؟ هذا هو سبب الخلاف بين أهل العلم في معنى الإحكام والتشابه في الآية، وقد اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال كثيرة.

الأقوال في معنى الإحكام والتشابه:

القول الأول: أن المراد بالمحكم هو المفسَّر، وهو الذي لا يحتاج إلى غيره لبيانه، والمراد بالمتشابه هو المجمل الذي يحتاج إلى بيان، وهذا قول القاضي أبي يعلى الحنبلي، وأبي الخطاب تلميذ أبي يعلى، وأبي إسحاق الشيرازي وغيرهما.

القول الثاني في المسألة: أن المراد بالمحكم ما عَرف معناه الجميع، كالآيات التي لا تعارض بينها وبين غيرها، والمراد بالمتشابه هو الذي يَغْمُضُ عِلْمُه على غير العلماء المحققين، هو ما لا يعلم معناه إلاَّ العلماء المحققين، كالآيات التي ظاهرها التعارض وتحتاج إلى علماء محققين يحررون الكلام فيها، ويحررون التعارض فيها.

مثل ماذا؟ مثل قوله جل وعلا: {هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ}وفي آية أخرى: {قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}وفي أخرى: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا} هنا في الآية الأولى يقول: {هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ} يعني ما فيه أحد يتكلم، في الآيتين التاليتين اللتين ذكرتهما قبل قليل: {قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} إذاً تكلموا، هناك يقول: {يَوْمُ لا يَنطِقُونَ} وهنا تكلموا: {قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} وفي الثانية: {يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا}، إذاً فيه آية تنفي الكلام والنطق، وفيه آيتين

تبين أنهم تكلموا، هنا غير المحقق غير العالم ما يدري وجه الجمع بينهما، يكون عنده تعارض، لكن العلماء المحققين قد أزاحوا الإشكال في مثل هذه المواضع، مثلاً بعض أهل التفسير يقول مثلاً: أن هذا يكون في حال وهذا يكون في حال، يوم القيامة يوم عصيب، منذ أن يبعثون في القبور إلى أن يدخل أهل النارُ النار وأهل الجنةِ الجنة نسأل الله أن يجيرنا وإياكم من النار، يكون الموقف عصيب وطويل وحالات ومواقف كثيرة؛ فمرة لا ينطقون ما يستطيعون، بل لا ينظر أحد إلى أحد؛ كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رضي الله عنها، ويأتي أوقات ينطقون إن أراد الله لهم النطق، هذان القولان، القول الأول والثاني في المسألة.